

12-15-2021

منهج الحدائين العرب في التعامل مع القرآن الكريم: المنهج "التشكيكي عند محمد أركون أنموذجا" دراسة نقدية The Arab modernists approach in dealing with the Holy Quran: The skeptical approach of Muhammad Arkoun as a model – a Critical study-

Sana Al Ghazzawi

The Ministry of Education, sanaalgzawi@yahoo.com

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois>

 Part of the [Islamic Studies Commons](#)

Recommended Citation

Al Ghazzawi, Sana (2021) "منهج الحدائين العرب في التعامل مع القرآن الكريم: المنهج التشكيكي عند محمد أركون" "أنموذجا" دراسة نقدية
The Arab modernists approach in dealing with the Holy Quran: The skeptical
approach of Muhammad Arkoun as a model – a Critical study-," *Jordan Journal of Islamic Studies*: Vol. 17
: Iss. 4 , Article 6.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol17/iss4/6>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jordan Journal of Islamic Studies by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

منهج الحدائين العرب في التعامل مع القرآن الكريم: المنهج التشكيكي عند محمد أركون أنموذجا "دراسة نقدية"

د. سناء الغزوي*

تاريخ قبول البحث: ٢٠٢٠/١٢/٢٣ م

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢٠/٣/٨ م

ملخص

تتناول هذه الدراسة موضوع الحدائين من حيث التعريف والنشأة، ثم عرضت الدراسة للمشروع الحدائين العربي مبينة أهدافه وخصائصه وأهم رواده، وعمدت إلى قطب من أقطاب الحدائين العربية وهو محمد أركون في دراسة تطبيقية لمنهجه التشكيكي في دراسة القرآن الكريم، متبعة في سبيل ذلك المنهجين الاستقرائي والتحليلي النقدي. وقد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج منها: أن من أهم سمات القراءة الحدائية للنص القرآني رفع القداسة عن النصوص الشرعية، ومحاولة إعادة صياغة الرؤية لهذه النصوص، بوضعها في مصاف النصوص البشرية، وذلك من خلال عدة ممارسات ستكشف عنها هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الحدائين، الحدائين، المشروع الحدائين، محمد أركون.

The Arab modernists approach in dealing with the Holy Quran: The skeptical approach of Muhammad Arkoun as a model – a Critical study-

Abstract

This study deals with modernity in terms of definition and creation, then presents the Arab modernist project outlining its objectives and its pioneers. Then it's focuses on the work of the most important pole of modernity, namely Muhammed Arkoun. In a practical study of his method in dealing with the verses of the Holy Quran by study and research, following that purpose the researcher used Inductive and analytical approaches. The study came up with number of conclusions, including: the most important features of modernist to the Qur'anic readings is lifting the holiness from the Islamic texts, and attempting to reformulate the visions of these texts, by placing them among human texts, through several practices, these practices will be revealed in this study.

Key words: Modernity, Modernists, Modernist Project, Mohammed Arkoun.

* باحثة - وزارة التربية والتعليم.

sanaalgzawi@yahoo.com

المقدمة.

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر، والصلاة والسلام على خير البشر وعلى آله وصحبه ومن اقتفى الأثر، أما بعد: فلما كان الإسلام هو النعمة الكبرى التي امتن الله بها على عباده، فأخرجهم به من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وعاش المسلمون في ظلاله الوارفة، يتقيون ظلاله ويستقون من معين كتابه وهدى نبيه -عليه الصلاة والسلام-، بيد أن هذا الجو الرغيد قد كدر صفوه أصوات تتعق بالخراب ترمي هذا الدين العظيم بما ليس فيه، برز منهم في العصر الحديث من يُسمون أنفسهم بالحدائين وسموا مذهبهم "الحدائنة"، فعلى صوتهم وانتشرت دعوتهم، فكان لي وقفة معهم في هذا البحث أعرض لمنهجهم وأبين مقصدهم.

مشكلة الدراسة، وأسئلتها.

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيس المتعلق بمنهج محمد أركون التشيكي في دراسته للنص القرآني، كإنموذج لمنهج الحدائين العرب في تعاملهم مع القرآن الكريم، وما الجديد الذي أضافه لميدان الدراسات القرآنية الحدائنية؟ ومن خلال هذا التساؤل برز عدد من الأسئلة الفرعية التي ستحاول هذه الدراسة الإجابة عنها، وهي كالآتي:

١. ما المقصود بالحدائنة؟ ومن هم الحدائون العرب؟
٢. كيف نشأت الحدائنة؟ وما أهدافها وخصائصها؟ وما الفرق بينها وبين العلمانية والتغريب؟
٣. ما منهج الحدائين العرب في دراسة القرآن الكريم؟ وكيف طبق محمد أركون المنهج التشيكي في دراسته للنص القرآني؟

أهداف الدراسة.

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. التعريف بمفهوم الحدائنة وبيان نشأتها وأهدافها.
٢. الكشف عن المنهج الذي اتبعه الحدائون في تعاملهم مع النص القرآني.
٣. تجلية منهج محمد أركون التشيكي في تعامله مع النص القرآني والرد عليه.

منهجية الدراسة.

لقد سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي في تتبع نشأة الحدائنة وأفكارها ومنهجها في التعامل مع القرآن الكريم، والتحليلي في تحليل مواقفهم، وربط أفكارهم بأصولها وجذورها. ثم اعتمدت في دراستي التطبيقية على المنهج التحليلي النقدي في إثبات منهجية محمد أركون التشيكية في كتاباته حول القرآن الكريم والرد عليه مبينة عوار منهجه.

الدراسات السابقة.

- كثرت الكتابات عن الحدائين وأعلامهم، ومما تسنى لي الاطلاع عليه:
- (١) رسالة دكتوراه بعنوان، الحدائين العرب وموقفهم من القصص القرآني (عرض ونقد)، إعداد الطالب: بسام عبيدات، بإشراف الدكتور شحادة العمري، من جامعة اليرموك، ٢٠١٠م. ولعل هذه الدراسة قد تخصصت في الحديث عن موقف الحدائين العرب من القصص القرآني، بينما ستكون هذه الدراسة أكثر شمولية من حيث تناولها موقف الحدائين من النص القرآني عامة، ثم قيامها بتطبيق هذا المنهج على قطب من أقطاب الحدائين المعاصرة ألا وهو محمد أركون.
 - (٢) كتاب العلمانيون والقرآن الكريم تاريخية النص، أحمد إدريس الطعان، أصل الكتاب أطروحة دكتوراه، ناقش فيه الباحث بعمق وتفصيل شبهات العلمانيين بخصوصية (محمد أركون)، وسعى إلى البحث عن القواعد التي يبني عليها الخطاب العلماني رؤاه وأطروحاته عندما يتعامل مع القرآن الكريم أو مع الإسلام عموماً.
 - (٣) أطروحة دكتوراه بعنوان موقف الحدائين العرب من القرآن الكريم وإعجازه، زكي مصطفى البشايرة، جامعة اليرموك (٢٠٠٨)، احتوت الرسالة على ستة فصول بحثية.
 - (٤) الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن دراسة ونقد، أحمد محمد الفاضل، (٢٠٠٨)، وهو كتاب يحتوي على مقدمة وباب تمهيدي وثلاثة أبواب بحثية وخاتمة.

خطة الدراسة.

- هذا وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون في مقدمة وثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: الحدائين بين المفهوم والنشأة. وفيه ثلاثة مطالب:**
- المطلب الأول: تعريف الحدائين لغةً واصطلاحاً.**
- المطلب الثاني: العلاقة بين الحدائين والعلمانية والتغريب.**
- المطلب الثالث: نشأة الحدائين.**
- المبحث الثاني: الحدائين العرب، والمشروع الحدائين العربي أهدافه وخصائصه. وفيه مطلبان:**
- المطلب الأول: التعريف بالحدائين العرب.**
- المطلب الثاني: المشروع الحدائين العربي، أهدافه وخصائصه.**
- المبحث الثالث: منهج الحدائين العرب في تعاملهم مع القرآن الكريم، دراسة تطبيقية لمنهج - محمد أركون - التشكيكي، وفيه مطلبان:**
- المطلب الأول: منهج الحدائين العرب في تعاملهم مع القرآن الكريم.**
- المطلب الثاني: دراسة تطبيقية لمنهج محمد أركون التشكيكي في تعامله مع القرآن الكريم.**
- وختتمت الدراسة بوضع أهم النتائج والتوصيات، راجية من الله تعالى التوفيق والقبول.
وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المبحث الأول:

الحداثة بين المفهوم والنشأة.

المطلب الأول: تعريف الحداثة لغة واصطلاحاً.

أولاً: الحداثة لغةً.

أصلها من حَدَّثَ، والحديثُ نقيضُ القديمِ، وَحَدَّثَ أَمْرٌ أَي وَقَعَ، ومحدثاتُ الأمورِ ما ابتدعه أهلُ الأهواءِ من الأشياءِ التي كان السلفُ الصالحُ على غيرها، ومما جاء في الأحاديثِ على هذا المعنى (كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)^(١)، وفي حديثِ المدينة (مَنْ أَحَدَّثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ أَوَى مُحَدَّثًا)^(٢). والمُحَدَّثُ: الأَمْرُ المُبَدَّعُ نَفْسَهُ، وفي حديثِ عائشة رضي الله عنها -: (لولا حَدَثَانُ قومِكَ بالكفرِ لَهَدَمْتُ الكعبةَ وَبَنَيْتُهَا)^(٣)، والمراد: قُرْبُ عهدهم بالكفرِ، وأنه لم يتمكن الدينُ من قلوبهم. والحديثُ: الخبرُ يأتي على القليلِ والكثيرِ والجمعُ أحاديثٌ، قال تعالى: ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، عنى بالحديثِ هنا القرآنُ، والحديثُ أيضاً: ما يُحَدَّثُ به المُحَدَّثُ، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، أي بَلِّغْ ما أُرسلتَ به^(٤).

ثانياً: مفهوم الحداثة اصطلاحاً.

الحداثة في أصلها مصطلحٌ مترجمٌ عن اللغةِ الإنجليزية، فهو دخيلٌ على مجتمعنا الإسلامي، حيثُ ترجمت عن (Modernism)، وتعني العصرية أو نزعة لاهوتية تحررية، أو التجديد^(٥).

وجاء في إحدى موسوعات الغرب المشهورة: (الحداثة لفظٌ مستعملٌ بكثرة منذُ القرنِ العاشرِ في المساجلاتِ الفلسفيةِ أو الدينيةِ، ويُستعملُ بمعنى انفتاحٍ وحريةٍ فكريةٍ ومعرفةٍ أحداثِ الوقائعِ المكتشفةِ، وحبِ التغييرِ لأجلِ التغييرِ، بلا حكمٍ على الماضيِ وبلا تفكيرٍ فيه)^(٦).

وتعرّف الحداثة بأنها مذهبٌ فكريٌ أدبيٌ علمانيٌ، بني على أفكارٍ وعقائدٍ غربيةٍ خالصةٍ مثل الماركسية والوجودية والرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية... وغيرها^(٧). فالحداثة إذاً مذهبٌ فكريٌ جديدٌ يحملُ جذوره وأصوله من الغرب، بعيداً عن حياة المسلمين وعن حقيقة دينهم، يدعو إلى تغيير واقع الحياة ليتوافق مع ما يطرحه ذلك الفكرُ من نظراتٍ خاصةٍ للإنسانِ والحياةِ، والثورة على كل موروثٍ سواء كان ديني أو تاريخي، ودراسته من جديدٍ بعيداً عن القداسة، وذلك بتطبيق مناهج الغرب العلمانية على النصوص الدينية^(٨).

المطلب الثاني: العلاقة بين الحداثة والعلمانية والتغريب.

ظهرت على الساحة الفكرية مصطلحاتٌ تلتقي مع الحداثة في كثيرٍ من أصولها ومبادئها ومراميها، وبعد البحث والتدقيق تبين أنها من عائلة واحدة وإن اختلفت مسمياتها، فمن خلال التعريف السابق للحداثة تبين أنها مذهبٌ فكريٌ علمانيٌ، قائمٌ في أصله على التغريب والنظرة الغربية للحياة والإنسان، وحتى يتبين لنا العلاقة بشكل أدق سنتعرف على مفهوم كل من العلمانية والتغريب ومبادئهما وعلاقتهما بالحداثة.

أولاً: العلمانية: هي إقامة الحياة بعيداً عن الدين أو الفصل الكامل بين الدين والحياة، وجاء تعريفها في دائرة المعارف البريطانية بأنها حركة اجتماعية، تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها، وأولى الترجمات بها في العربية أن نسميها اللادينية^(٩).

ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع، وإبقائه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه. تتفق العلمانية مع الديانة النصرانية في فصل الدين عن الدنيا حيث لقيصر سلطة الدولة والله سلطة الكنيسة، أما الإسلام فلا يعرف هذه الثنائية والمسلم كله الله وحياته كلها الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ومن أشهر دعاة العلمانية في العالم العربي والإسلامي: أحمد لطفي السيد، قاسم أمين، وطه حسين. ومن معتقدات العلمانية في العالم الإسلامي: الطعن في حقيقة القرآن والإسلام والنبوة، الزعم بأن الإسلام عبارة عن طقوس وشعائر روحية، الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ويدعو إلى التخلف، الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي، اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية عن الغرب ومحاكاته فيها، وتربية الأجيال تربية لادينية^(١٠).

ثانياً: التغريب: هو تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبغ حياة الأمم عامة، والمسلمين خاصة بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة، وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية. ومن أبرز دعاة التغريب في العالم الإسلامي: جمال الدين الأفغاني، وتلميذه الشيخ محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، الذي انضم إلى مدرسة محمد عبده الداعية إلى مهاجمة التقاليد، كما ظهرت لهم فتاوى تعتمد على أقصى ما تسمح به النصوص من تأويل؛ بغية إظهار الإسلام بمظهر المتقبل لحضارة الغرب، كما دعا الشيخ محمد عبده إلى إدخال العلوم العصرية إلى الأزهر لتطويره وتحديثه، ومن دعائها أيضاً قاسم أمين الذي قاد مشروع تحرير المرأة، وأحمد لطفي السيد، وطه حسين، -نجدهم أيضاً من دعاة العلمانية- والشيخ أمين الخولي أيضاً من رواد هذا الفكر، حيث كان يروج لأفكار طه حسين في الدعوة إلى دراسة القرآن دراسة فنية بغض النظر عن مكانته الدينية^(١١).

من خلال هذا العرض الموجز عن هذه المذاهب الفكرية يتبين صحة ما تم تقريره من النقاء الحداثي مع كل من العلمانية والتغريب في الأفكار والجذور، بل في الدعوة إليها من المفكرين نجدهم أنفسهم أينما حللنا، فهم وجوه متعددة لعملة واحدة.

المطلب الثالث: نشأة الحداثة.

يكاد يُجمع الكاتبون في هذا المضمار على أنّ بداية الحداثة كانت عند الغرب، حيث ترعرعت في مهد بيئتهم ورَضعت لبان معتقداتهم، وشكّلت مرحلة حاسمة من مراحل الفكر الغربي، الذي ثار بدوره على تقاليد الماضي البئيس مُمثلاً بالكنيسة، فجذّت بالدعوة إلى إلغاء مصادر الدين، وتقويض كل ما يدعو إليه من القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية، فهي ضاربة في القدم لم تُعدْ تُجدي في تلبية متطلبات العصر المنادي بالتحريّر من كلّ القيود. بيد أنّ هذه

منهج الحداثيين العرب في التعامل مع القرآن الكريم

الحداثة المزعومة والمُنْتَظَرَة ما هي إلاَّ عَقْدٌ انتظم في ثناياه مذاهبُ غايةً في الخطورة والإلحاد، فهي كما يطلق عليها الدكتور المسييري أنها متتالية المفهوم^(١٢). ومعنى ذلك أنها لم توجد مرّةً واحدةً، وإنما كانت خلاصةً تطويريةً لبعض الحركات والمذاهب من أمثال الوجودية والسريالية^(١٣).

ثم تسلّلت الحداثة الغربية إلى أدينا ولغتنا العربية ومعتقداتنا فأصبحت أمراً واقعاً لا محالة ولا مفرّ منه، وتعدّدت أزيؤها ما بين الوطنية والتقدمية، وتزيّنت بزخرف الحرية والعدالة، وصُيغَتْ بأصباغ الفكر والفلسفة والسياسة والاقتصاد والتربية والاجتماع^(١٤).

وما يهمننا هنا بدايةً الحداثة ذات العلاقة بالإسلام، فقد بدأت مع بدء ما يسمى بحركة النهضة العربية الإسلامية خلال القرن التاسع عشر ممثلة برفاعة الطهطاوي وجمال الدين الافغاني ومحمد عبده، فانطلق مشروع الإصلاح الديني في الفكر المعاصر وقدم محمد عبده مشروعه الإصلاحية الذي كان يسعى إلى تكييف المجتمع الإسلامي ومبادئ العقيدة مع مقتضيات الأزمنة الحديثة ومتطلباتها في روحه العامة، وبرز في هذا التوجه الإصلاحية الجديد مشروع نقد العقل العربي الإسلامي الذي بلورته أعمال محمد عابد الجابري ومحمد أركون، وامتدت هذه الحركة حتى الوقت الحاضر بعد أن مرت بها عدة أسماء كان لها دور بالغ في الدعوة إلى التغريب، منهم طه حسين والطيب التيزيني وحسن حنفي ومحمد عابد الجابري ومحمد أركون وهشام جعيط^(١٥).

المبحث الثاني:

الحداثيون العرب والمشروع الحداثي أهدافه وخصائصه.

المطلب الأول: التعريف بالحداثيين العرب.

هم طائفة من الكُتّاب والمتقنين العرب الذين لم يتخصصوا في العلوم الشرعية، وإن كان لهم نصيبٌ منها فإنهم لم يتلقوا هذا الحظ من علماء الأمة، وإنما تتلمذوا على أيدي المستشرقين ومن قبلهم أسلافهم من الفلاسفة العرب، الذين تتكروا لدينهم ومبادئه وأفكاره، فكان لهم صولات وجولات جدلية مثيرة للشبهات، مشككة في الثوابت، التي هي عند علماء الأمة من المسلمات، فكان لهم جدالٌ في ربانية مصدر القرآن، وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغيرها من العلوم الشرعية والمسائل المعروفة عند العلماء والتي لا يُفتتن بها إلا العامة.

ومن أبرز الحداثيين الذين تعاملوا مباشرةً مع الآيات القرآنية: محمد أركون، محمد شحرور، نصر حامد أبو زيد، حسن حنفي، طيب تيزيني، محمد الجابري، عبد المجيد الشرفي، هشام جعيط، عادل ظاهر، هاشم صالح، عزيز العظمة، وغيرهم.

ومن أشهر مصنفات الحداثيين في دراسة النص القرآني دراسة حداثية: الطيب تيزيني في كتابه "النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة"، عابد الجابري في كتابه "التراث والحداثة"، محمد أركون في "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني"، علي حرب في كتابيه "نقد النص" و"نقد الحقيقة"، نصر حامد أبو زيد في "الخطاب والتأويل"

و"مفهوم النص"، أدونيس "الثابت والمتحول"، محمد أحمد خلف الله في كتابه "الفن القصصي في القرآن"، محمد شحرور في كتابه "الكتاب والقرآن قراءة معاصرة"، حسن حنفي "دراسات إسلامية" و"مفهوم النص".

المطلب الثاني: المشروع الحدائثي العربي أهدافه وخصائصه.

أولاً: أهداف المشروع الحدائثي العربي.

يهدف المشروع الحدائثي العربي فيما يتعلق بالنص الشرعي إلى تأويل النص بطريقة مستحدثة تلغي فيها نظرة القداسة له، وتجعله في مصاف النصوص الأدبية التراثية سواءً بسواء، وتدعو إلى ترسيخ القول بأن النص الشرعي لم يعد منتبهاً إلى مصدره الإلهي. وتهدف الحدائث أيضاً إلى إلغاء مصادر الدين وما صدر عنها من عقيدة وشريعة، وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية بحجة أنها قديمة وموروثة، لتبني الحياة على الإباحية والفضى، وذلك باسم الحرية والحدائث. وسعت الحركة الحدائثية إلى التصدي للأفكار القديمة، وتحطيم الموروث وتدمير صورته، وبذا تحول الحدائثيون العرب إلى أداة لحماية الأفكار الغربية وتقويض البنى الفكرية والدينية الإسلامية^(١٦). يقول علي أحمد سعيد الملقب بأدونيس في كتابه الثابت والمتحول: (لا يمكن أن تنهض الحياة العربية ويبعد الإنسان العربي إذا لم تهدم البنية التقليدية السائدة في الفكر العربي والتخلص من المبنى الديني التقليدي الاتباعي)^(١٧).

والواقع خير شاهد على أهداف الحدائث، حيث نادى زعماءها بمحافل عدة بضرورة السعي لتحقيق أهداف ثلاثة هي^(١٨):

أولاً: ضرورة إسقاط العمل ببعض النصوص القرآنية، ولا حاجة للممارسة العلمية لمعرفة المحكم منها والمنسوخ، حيث إنها ارتبطت بأحوال وظروف معينة سجلتها وقائع تاريخية كانت تصب في رحالها، وبزوال حالها انتفت الحاجة لتلك الآيات وأصبحت من الماضي.

ثانياً: نصوص الأحكام لم تغد إلا توصيات وعظية لا قوانين وضعية ثلاثم احتياجات المجتمع، فهناك كثير من القوانين التشريعية التي تعرض لها التعديلات بين الأيام طباقاً للمصالح الانتفاعية.

ثالثاً: تجميد النص القرآني على الجانب المعنوي والأخلاقي، وهو كتاب توجيه وهداية، ودليلهم أن معظم الآيات التي افتتح القرآن بها كانت "يا أيها الذين آمنوا" وختامها "إن كنتم مؤمنين" أو "صادقين"، والتأكيد على الجزاء الأخروي. وتتخلص أفكار الحدائث ومعتقداتها في: رفض مصادر الدين الكتاب والسنة والإجماع، الدعوة إلى نقض النصوص الشرعية، المنادة بتأويل جديد لها يتناسب والأفكار الحدائثية، الدعوة إلى فلسفات حديثة على أنقاض الدين، اللغة في رأيهم قوة ضخمة من قوى الفكر المتخلف التراكمي السلطوي لذا يجب أن تموت، وتدعو إلى إحياء الوثنيات والأساطير^(١٩).

ثانياً: خصائص المشروع الحدائثي العربي.

للحدائث خصائص عرفت بها وقامت على أساسها، وهي محاربة الدين، الثورة على القديم كله وتحطيم جميع أطر الماضي إلا الحركات الشعبية والباطنية. الثورة على اللغة بصورها التقليدية المتعددة، الدعوة إلى تحرير المرأة من أحكام الشريعة، القبح في التراث الإسلامي وإبراز للشخصيات التي عرفت بجنوحها العقدي كالحلاج والأسود العنسي

منهج الحدائين العرب في التعامل مع القرآن الكريم

وغيرهم. ويتضح مما سبق أن الحدائين تصور إلحادي جديد للكون والإنسان والحياة، وليست تجديداً وأقوالاً سدنة الحدائين تكشف عن انحرافهم^(٢٠).

ومن أهم سمات القراءة الحدائية للنص القرآني:

أولاً: رفع القداسة عن النصوص الشرعية، ومحاولة إعادة صياغة الرؤية لهذه النصوص، بوضعها في مصافّ النصوص البشرية، وتمثّل هذا من خلال الدعوة إلى عدّة ممارسات منها:

١. حذف عبارات التعظيم والتقدّيس لهذه النصوص وقائلها.
٢. إعمال العقل في النصوص، وإطلاق العنان له من غير رقابة ولا حساب، وتمثّل هذا في ردّ النصوص والأقوال التي لا تتوافق مع العقل، وتقديم رأي البشر على كلام رب البشر، بدعوى أنّ القرآن وليد البيئة، وأنّ النصّ يخضع لاحتياجات البشر.

٣. استبدال الألفاظ الشرعية بأخرى معاصرة بغيّة تغيير المفاهيم، كالإشارة إلى القرآن الكريم بـ (المدونة الكبرى) و (الخطاب الديني) أو النبوي، واستخدام مصطلح (العابرة) في الإشارة إلى الآية.

ثانياً: إعلانهم الحرب على الإسلام والأصالة، وإغفالهم لعناصر التميّز التي كرم الله تعالى بها الأمة، مما يؤكد ذلك خلو إنتاجهم الفكري من أي إشارة لمصادر التشريع وسيرة السلف الصالح إلا ما كان على سبيل الطعن والغمز، مكتفين برموز الوثنية والإلحاد القديمة والمعاصرة^(٢١).

المبحث الثالث:

منهج الحدائين العرب في تعاملهم مع النص القرآني،

دراسة تطبيقية لمنهج -محمد أركون- التشكيكي في تعامله مع النص القرآني.

المطلب الأول: منهج الحدائين العرب في تعاملهم مع النص القرآني.

قام الفكر الحدائي على مستويين من المنهجية بهدف تفكيك النصّ الشرعي وهما:

المستوى الأول: ويقوم على تسليط الرؤية التاريخية على النصّ في نظرية (تاريخية النصّ)، لإنزاله من مجال الإلهي إلى أنسنته -مشروع أركون-.

المستوى الثاني: إخضاع النصّ للدراسة النقدية التداولية في المجال اللساني، وتطبيق نظريات القراءة التأويلية المعاصرة على النصّ الديني لإعادة قراءته وتأويله، ويعدّ أبو القاسم حاج والجابري من رواد هذه المشاريع الحدائية^(٢٢).

سلك الحدائون مناهج عديدة لتحقيق مآربهم في دراسة القرآن الكريم دراسة حدائية، واتسمت هذه المناهج بعدة سمات تمثّلت فيما يأتي^(٢٣):

- (١) التعرّض للقرآن الكريم والخوض في تأويله من غير تحصيل العلوم والأدوات التفسيرية المعروفة عند أهل الاختصاص، فجّلهم غير متخصّص في العلوم الشرعية والقرآنية خاصة^(٢٤).

الرد والمناقشة: لتدبر القرآن الكريم ضوابط وشروط ينبغي أن تتوافر فيمن يتعرض لكلام الله بالتفسير، وهي: العلم بمقاصد الشريعة. العلم باللغة العربية وعلومها كالنحو والصرف والبلاغة وغيرها. العلم بالقراءات القرآنية. العلم بأصول الدين (علم التوحيد والعقيدة). العلم بأصول الفقه. المعرفة بعلم الحديث رواية ودراسة. المعرفة بعلوم القرآن كالناسخ والمنسوخ وأسباب النزول والمكي والمدني وغيرها. وسلامة العقيدة والتجرد عن الهوى^(٢٥).

وبنظرة تأملية في هؤلاء الحدائين الذين تعرضوا للنص القرآني بالتأويل، وبمحاولة إسقاط شروط المفسر والمتدبر لكتاب الله عليهم يتبين لنا أنهم لا يملكون أدوات النظر في تفسير كتاب الله، ولا يحققون الضوابط المنصوص عليها من علماء الأمة، فأنى لأمثال هؤلاء أن يؤتمنوا على النظر في كلام رب العباد.

٢) التقليد عند الحدائين: منهجهم قائم على التقليد الحدائوي الغربي، وإسقاط الفلسفات الغربية على النص القرآني، الداعية إلى المماثلة اللغوية بين النص القرآني والنصوص البشرية، قاصداً صرف قدسيته بدعوى لا تخضع لمنهجية علمية^(٢٦).

ومن الشواهد الدالة على تقليدهم للمستشرقين في دراساتهم القرآنية موقفهم من الوحي، فقد نفوا الوحي وأنكروا أصل وجوده، فالنص عبارة عن إبداعات عقلية وموهبة فكرية أنجبت هذه الخطابات التي تتسم بالقداسة، فما القرآن بأفضل من التوراة والإنجيل، وهم بهذا يستعيدون قراءة الفلاسفة الإسلاميين فالمنطق واحد، مع اختلاف في الأدوات والمفاهيم وكذا موقفهم من النبوة، وأوصلهم هذا الفكر المنحرف إلى الاهتمام بالأساطير والخرافات^(٢٧).

٣) اعتماد منهجهم على العقل في التعامل مع النصوص القرآنية، بل يعتمدون الرأي المجرد عن الدليل حتى في القضايا التي وردت فيها نصوص قطعية الدلالة، فيخضعون النص القرآني لمقاصدة العقل البشري بعد تجريده من قداسته.

٤) موقفهم من السنة النبوية: يستبعدون السنة تماماً في التفسير، ولا يلتفتون إلى الآثار الواردة في التفسير، ولا يعيرونها اهتماماً^(٢٨).

الرد والمناقشة: وهذا خلل منهجي بين، فلا عجب فيما وصلوا إليه من شطط في دراساتهم للنص القرآني بعيداً عن مقررات السنة النبوية الصحيحة، فالناظر في كتاب الله لا يستغني عن معرفة وإمام بالسنة النبوية التي تعتبر شارحة ومبينة ومفصلة لكتاب رب العالمين.

٥) لا يوجد لهم منهج علمي محدد في التعامل مع النص القرآني، بل يتبنون مناهج عدة ومتناقضة فيتسمون باللامنهج، أو كما يسميها أركون في أبحاثه بالمنهج المتعدد الاختصاصات^(٢٩).

الرد والمناقشة: وهنا للأسف يتم استخدام مناهج عديدة ذات اختصاصات بعيدة كل البعد عن التخصصية في دراسة النص القرآني، مما جعل الفوضوية العلمية متاحة بشكل واسع، والقول بغير علم جعل هؤلاء يهرفون بما لا يعرفون.

٦) التجديد الجذري في تفسير القرآن لمواكبة متطلبات العصر، فلم تعد التفسير القديمة قادرة على تلبية تطلعات العرب في عصر الحدائين، وأن يخضع فن التفسير للمنهج العلمي النقدي والتاريخي غير التبريري، ثم تُقبل نتائج التفسير ويوظفها حسب موافقتها للعقلية الحديثة بعيداً عن التشبث بحرفيته^(٣٠).

وينقل أركون عن أبي القاسم حاج قوله في كتابه جدلية الغيب: (إن علاقتنا بالقرآن منهجية ومعرفية، بحيث لا نتعاطى

منهج الحدائين العرب في التعامل مع القرآن الكريم

مع موضوعاته بمنطق العقل التفسيري التراثي أو اللاهوتي، فهذه المناهج اتخذت منه كتاب عبادات ومعاملاتٍ وعظاتٍ، وأما بُغيتنا الأساسية فهي منهجية، فنحن لا نُنزل النَّصَّ على الواقع كما يفعلون، وإنما نرتفع بالواقع إلى النَّصِّ، فلا نلجأ للتأويل ولا التفسير^(٣١).

رد ومناقشة: فهم هؤلاء الحدائين التجديد بأنه الخروج عن المعتقدات والأصول الدينية، متمثلة بالكتاب والسنة، في محاولة لمجارة الغرب العلماني الكافر، مع البون الشاسع بين الأصول الدينية في الغرب التي تعرضت للتحريف والتغيير فكانت غير مقنعة للعقول العاقلة^(٣٢). مما حداهم للخروج عليها، والأصول الدينية الإسلامية التي حفت بالعناية الإلهية أولاً، ومرت بتاريخ من العناية البشرية والنقل الدقيق الموثق لم يتسن لغيره من المصادر الدينية حتى عُدت مضرِباً للمثل في الوثوق والمصادقية من العدو قبل الصديق.

٧) المنهج التشكيكي وإثارة الشبهات حول النص القرآني والطعن بمصدره، لإثبات بشرية القرآن ورفع القداسة عنه^(٣٣). الرد والمناقشة: فهم ينبشون القبور لإثارة ما فيها من عَفْنٍ وِنْتِن، وكلَّ شبهاتهم قال بها أسلافهم من قدماء الملاحدة والزنادقة العرب، فضلاً عن أساتذتهم من المستشرقين.

المطاب الثاني: دراسة تطبيقية لمنهج -محمد أركون- التشكيكي في تعامله مع النص القرآني.

سعى أركون من خلال مؤلفاته المتعلقة بالقرآن الكريم إلى طرح رؤى جديدة تتوافق وروح العصر الغربي الذي ارتوى له عشقا، وذلك من خلال محاولاته في تجديد الفكر الإسلامي والخطاب الديني، فسادت الروح التجديدية مؤلفاته، وطغت عليها النزعة التشكيكية في كل ما هو موروث وأصل من أصول الدين، وللتدليل على هذا الكلام أعرض هنا لنماذج من منهجه التشكيكي الذي ساد على دراساته القرآنية، وأعقبه بالرد والمناقشة:

أولاً: منهجه التشكيكي في أركان العقيدة الإسلامية.

لقد صوب أركون سهامه صوب العقيدة الإسلامية، رغبة منه أن يصيب بذلك مقتلاً، فإذا تم له ذلك فما بعده أهون منه، وأذكر هنا نموذجين لما شكك به أركون من أركان العقيدة الإسلامية:

- لقد شكك في أهم أركان العقيدة الإسلامية وززع الثقة بها من خلال لمزه وطعنه بوجود الله ﷻ، معلناً أن فكرة وجود الله ابتداءً هي نوعٌ من الأساطير، حيث يقول: (إنَّ تأكيد وجود حقيقة متعالية قادرة دوماً -إذا عرف الناس فهم لغزها وعيشها- على إعادة مسيرة التاريخ في الدرب الصحيح، هذا التأكيد هو الأسطورة الأكثر رسوخاً، والأكثر نجوعاً، والذي أتاح بالفعل للضمير المسلم أن يتجاوز جميع الأزمان بدءاً منها^(٣٤)).

- ويهاجم أركون ركناً آخر من أركان العقيدة الإسلامية ألا وهو ركن الإيمان بالكتب السماوية، فيدعي أنَّ الفكر الحديث قد قضى علمياً على إشكالية "الكتاب السماوي أو العلوي أو الإلهي" مع النظرة إلى العالم والممارسات الشعائرية، والأخلاقية، والسياسة التي تنطوي عليها، ولكنَّ هذا الفكر لم يقم حتى الآن بتقييم الوظيفة النفسانية -الاجتماعية- الثقافية التي تلعبها هذه الإشكالية في مجتمعات "الكتاب المقدس"^(٣٥).

الرد والمناقشة:

ما كان لأركون أن يتجرأ على الله ﷻ لولا المنهج العقلاني الذي ارتضاه لنفسه، هذا المنهج الذي لا يحتكم إلا إلى العقول القاصرة فيجعلها حاكمة على كل شيء حتى على المسلمات وما هو معلوم من الدين بالضرورة، وأصحاب هذا المنهج يتخذون من التشكيك ذريعة للبحث والخوض غالباً فيما لا يعود بالنفع على الجنس البشري، فنجد هنا يطعن في حقيقة وجود الخالق ﷻ هذه الحقيقة التي فطر الله الخلق عليها، ولا ينكر وجود الخالق إلا ملحد قد خرج عن حدود فطرته وشد عنها، قال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ فِطْرَ النَّاسِ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

أما عن ركن الإيمان بالكتب السماوية فنجد أن لدى أركون إشكالية في مسمى الكتب السماوية أو الإلهية أو العلوية، فمجرد تسمية هذه الكتب بمسميات تضيف عليها هالة من القداسة يتولد لدى أركون حساسية فكرية تجعله يضطرب تارة بمصطلحات خاصة به توحى بما في نفسه من هواجس، يلقيها بلمز وغموض تقية أحياناً، ويسوء نية أحياناً أخرى ليدس السم في الدسم لقرائه من أبناء المسلمين. ثم ليس من الإنصاف والموضوعية أن يتحدث بعموم عن الكتب السماوية المتمثلة بالتوراة والإنجيل جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم، ولا يخفى أن للقرآن الكريم خصوصية تمثلت في توثيق نصوصه وصحة نسبتها إلى الله ﷻ، في حين انتفت نسبة الكتاب المقدس إلى الله ﷻ بشهادة الدراسات الموثوقة ومناهج النقد الحديثة.

وأنى لعقل بشري ناقص خاصة إذا كان كعقل أركون - أن يهتدي وينطلق في الأفاق بعيداً عن هداية الوحي وإرشاداته، فقد ضل في متاهات العقل من هم أوسع علماً وأكثر نضجاً من الحدائين، حتى كانت نهاية حالهم الندم على ضياع الأوقات، وتمنى الرجوع إلى الهداية الإلهية المتمثلة بنصوص الوحيين، بعيداً عن انشغافات النفس ومتاهات العقل^(٣٦).

ثانياً: منهجه التشكيكي بجمع القرآن الكريم وقداسته.

سلك أركون مسالك عدة لإثارة الشبهات والشكوك حول قداسة القرآن الكريم وصحته بوصفه كتاباً إلهياً، وذلك من خلال عدة طروحات خطيرة منها:

- تاريخية النص القرآني: ينظر أركون إلى القرآن الكريم بوصفه نصاً تاريخياً ومن التراث، وهذا يستلزم قراءته قراءة نقدية، وتطبيق مناهج النقد الحديثة عليه - النقد التاريخي والتفكيكي الألسني -، التي تم تطبيقها على الكتاب المقدس بعهديه^(٣٧)، يقول أركون: (لننتقل الآن إلى ما يدعوه الناس عموماً بالقرآن، إن هذه الكلمة مشحونة إلى أقصى حد بالعمل اللاهوتي، والممارسة الطقسية الشعائرية الإسلامية منذ مئات السنين، إلى درجة أنه يصعب استخدامها كما هي، فهي تحتاج إلى تفكيك سابق، من أجل الكشف عن مستويات من المعنى والدلالة كانت قد طمست وكتبت ونسيت من قبل التراث النقوي الورع، كما من قبل المنهجية الفيلولوجية النهائية أو المعرفة في التزامها بحرفية النص)^(٣٨).

ثم إنه يُشبه هذا العمل الضخم المنوي القيام به بصدد النص القرآني بما حدث للأناجيل والتوراة، وبهذا تتبلور فكرة أنسنة النص القرآني لدى أركون لنزع القداسة عن النص القرآني، الذي أثقل كاهله وقض مضاجع الحدائين منذ قرون.

- أما عن إثارته للشبهات والشكوك حول صحة جمع القرآن الكريم، فنجد يقترح حلاً لهذه المشكلة حسب ظنه - بالمرجعة

منهج الحداثيين العرب في التعامل مع القرآن الكريم

النقدية للنص القرآني، ويتطلب هذا الرجوع إلى كل الوثائق التاريخية المتاحة في سبيل ذلك بغض الطرف عن مصدرها، وهكذا يتأكد من صحة الوثائق المستخدمة، ويسعى لإثبات مشروعته التشكيكي عن طريق البحث عن وثائق أخرى ممكنة الوجود، كوثائق البحر الميت التي اكتشفت مؤخراً، ويفيده أيضاً في مشروعته هذا سبر مكتبات الدرور في سوريا والإسماعيلية في الهند والزيديّة في اليمن والعلوية في المغرب، حيث يوجد في هذه المكتبات وثائق نائمة، مقفل عليها بالرتاج، والشيء الوحيد الذي يُعزّيه في عدم إمكانية الوصول إليها معرفته بأنها محروسة جيداً^(٣٩).

لقد أسهم أركون في إحياء الأفكار الموات والتي نادت بها فرق الإلحاد والزندقة المندثرة في مزلة التاريخ^(٤٠)، إنه يقول بتعرض القرآن للتحريف والتغيير أثناء عملية تدوينه في المصاحف، واستمع إلى نموذج من تخرّصاته حيث يقول^(٤١): (أنبه القارئ إلى أهمية البعد الألسني واللغوي للكتابات المقدسة، فلم يُعدّ يكفي التلوّح بنسخة القرآن كما يفعلون اليوم، فهذه النسخة المدعّوة بالمصحف هي عبارة عن نص مكتوب، ولم تُعدّ كلاماً شفهيّاً حُرّاً كما كانت عليه في البداية، وهذا ما يغيّر من شروط فهم كلام الله وتفسيره؛ لأن عملية الانتقال من مرحلة النص الشفهي إلى مرحلة النص المكتوب تصحب حكماً بضياع جزء من المعنى)^(٤٢).

وفي سبيل تحقيق نظريته هذه يدعي وجود نوعين من النص القرآني في العهد النبوي وفي العصر الحالي مختلفان تماماً فيقول: (ويمكنني أن أقول بأن المقدس الذي نعيش عليه أو معه اليوم لا علاقة له بالمقدس الذي كان للعرب في الكعبة قبل الإسلام ولا حتى بالمقدس الذي كان سائداً أيام النبي)^(٤٣).

الرد والمناقشة:

يخطئ أركون مجدداً في قياسه الفاسد مع الفارق ما بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، فمن المقرر أن جمع القرآن الكريم مر بثلاث مراحل بيّنة في وضوح النهار لا تخفى إلا على حاقد أو طاعن^(٤٤)، ومن كان عنده مزعة عقل لا ينكر ما لا ينكر علمياً وواقعياً. بيد أن الكتاب المقدس بعهديه مر بمراحل ظلامية وبلغ التحريف فيه أوجه، حتى تجلى كتبا متعارضة ومتناقضة بين طوائف أهل الكتاب، لكل طائفة كتبها التي تعترف بها وتتكبر سواها، فاستلزم حالها تطبيق مناهج النقد الحديثة عليها كالمناهج التاريخية والفيلولوجية وغيرها من المناهج النقدية، فتمخضت هذه الدراسات عن وضع نظريات تشير إلى مصدر الكتاب المقدس وتاريخ تدوينه واللغة الأصلية التي دون بها والتي أقرها علماءهم ونقادهم، من أمثال (يوليوس فلهاوزن) الذي يعد مؤسس علم نقد الكتاب المقدس في العصر الحديث^(٤٥). لا أعلم هل نسي أركون أم تناسى أن القرآن الموجود في المصحف المكتوب في السطور هو نفسه القرآن المحفوظ في الصدور، وأن عملية تدوين القرآن منذ العهد النبوي توافقت زمنياً مع حفظه شفهيّاً في الصدور، وكان تدوينه تحت إشراف النبي ﷺ وضمن لجنة من الصحابة هم كتاب الوحي^(٤٦).

فلا يوجد كتاب على وجه البسيطة نال من العناية والحفظ ما ناله القرآن العظيم، وخير شاهد على ذلك تاريخ تدوين المصحف، والمنهجية الدقيقة التي اتبعت في الجمع على عهد الخلفيتين أبي بكر وعثمان -رضي الله عنهما-، وإجماع الصحابة عليه، وحسبنا قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. ومن هنا تبطل دعوته في اعتبار

القرآن الكريم نصاً تاريخياً تراثياً كأى نص من التاريخ ينبغي تفكيكه باعتباره نص من التراث. ثم إن الناظر في قضية جمع القرآن الكريم وملابساته يتبين له مقدار الخطأ الجسيم الذي وقع به أركون في انسياقه ولهوئه وراء التقليد الغربي للمستشرقين في نزع القداسة عن كل مقدس وموثوق، حتى وإن كان كلام الله ﷻ. لقد كان أركون في شبهة جمع القرآن عالية على أساتذته من المستشرقين فقد زعم أساتذته المستشرق الفرنسي (ريجيس بلاشير) من قبل أن جمع القرآن حدث فيه أخطاء كثيرة، وأطلق على عملية الجمع تنقيحاً^(٤٧).

ويبدو التقليد للمستشرقين واضحاً جلياً عند أركون في كتابته ومؤلفاته، فجلّ مؤلفاته ناهضةً على النظريات الغربية والأفكار الاستشراقية، علاوةً على المصطلحات الغربية والغريبة عن البيئة المسلمة والتي ضاقت بها مؤلفاته. ويبدو هذا من خلال كلامه: (لقد خُضتُ المعركة منذ ثلاثين سنة في السوربون، وطالبتُ بنقل المنهجيات الحديثة وتطبيقها على التراث العربي الإسلامي مثلما تُطبّق بكل نجاح على التراث الأوروبي والمجتمعات الأوروبية)^(٤٨).

ثالثاً: منهجه التشككي في التراث التفسيري للقرآن الكريم، ودعوته لسيادة العلوم العقلية على العلوم النقلية.

– يعلن أركون خروجه عن تراث السلف من المفسرين ومقرراتهم في تفسير كلام الله، وفي سبيل ذلك نجده يثني على كل محاولة للخروج عن هذا الفهم ويعدّه حادثة وتطوراً، فنلاحظ مثلاً اهتمامه البالغ بالحكاية الأسطورية التي ينسبها للقصص القرآني، والتي يثني فيها ابتداءً على الأستاذ خلف الله في (الفن القصصي في القرآن)^(٤٩)، إلا أن هذه الدراسة لم تُشبع نهم أركون المتعطّش إلى إصاق نظريات الحكاية الأسطورية في القرآن^(٥٠).

– ثم يعلن صراحةً عن إنكاره للتراث التفسيري ودعوته إلى العلوم العقلية وسيادتها فيقول: (لكننا نفتقدُ إلى أيّ نقدٍ حقيقي للعقل الديني، ينبغي أن يتملّ في استخدام كل مصادر المعقولة والتفكير التي تقدّمها لنا علوم الإنسان والمجتمع، من أجل زحزحة إشكالية الوحي من النظام الفكري... إلى فضاءات التحليل والتأويل التي يفتتحها الآن العقل الاستطلاعيّ الجديد المنبثق حديثاً)^(٥١).

الرد والمناقشة:

لقد تعرّض أركون للنص القرآني وخاض غماره وردّ تفسير العلماء القدماء، وأثار شبهاتٍ وشكوكاً، ووقع في مغالطاتٍ^(٥٢) ما كان له أن يقع بها لو أنه كان متسلحاً بالعلوم الضرورية لفهم كتاب الله، غير أنّ جهله بهذه العلوم، وغطرسته وانبهاره بمنجزات الغرب وحدائثهم، أوقعته في مستنقع عزّ الخروج منه.

وخيرٌ دليل على ضعف الرجل في اللغة العربية أنّ معظم مؤلفاته باللغة الفرنسية ترجمها هاشم صالح إلى العربية، ويُرجع ذلك إلى انشغاله بمتابعة التيارات الحديثة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ولأنه يستخدم مصطلحات يصعب عليه أن يجد لها مكافئاً في اللغة العربية، فأنى لرجلٍ أفنى حياته في ملاحقة المذاهب الإنسانية والمبادئ الفلسفية الغربية الملحدة أن يتعرض لكتاب الله بالتأويل، وهو بعيدٌ كلّ البعد عن لغته ووحيه وظلاله، ثم تراه يحكّم عقله المجرد في النصوص فيلغي هذا، وينكر هذا، ويلبس قصصه ثوب الأسطورة والخرافة، ويلقي على تشريعاته وأحكامه ظلّ البيئة والظروف،

منهج الحداثيين العرب في التعامل مع القرآن الكريم

وينسبُ لبراهينه واستدلالاته المجازَ والاستعارة، فهلاً شبَّ على لغة القرآن وتلقى العلم في ربوعه حتى يخبر هذا، فأثى لابن السوربون أن يتذوق جماليات اللغة العربية وبلاغة الأسلوب القرآني وفصاحته.

الخاتمة والنتائج.

- وتحطُّ الرحالُ هنا لنؤكد على مجموعةٍ من **النتائج** التي تمَّ التوصلُ إليها في هذه الدراسة وخلص إليها الباحث وهي:
١. عدمُ الموازنة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للحداثة، فالمعنى اللغوي يدل على التجديد والتطوير ومخالفة القديم، إلا أن هذه المخالفة قد تكونُ فيما يعودُ على الأمةِ بالنفعِ فيُحمد عُقباها، وقد تكون فيما يعود عليها بالوبال وهذا ما كانت عليه حداثتنا المعاصرة، إذ إنها مذهبٌ فكري يحمل أصوله من الغرب، يدعو إلى الثورة على الثوابت والدين، لتغيير واقع الحياة حسب متطلبات العصر.
 ٢. الحداثيون العرب ما هم إلا تلامذة للمستشرقين، يدورون في فلكهم، يُقدِّمون دينهم قريباً يُذبحُ على عتبةِ بابهم، يرددون شبهاتهم ويثيرونها بأساليب خبيثة، ويعباراتٍ برّاقةٍ تخدمُ البسطاء والسذج.
 ٣. أقوالُ الحداثيين قديمةٌ قديمَ الإنسان والتاريخ، قالها المشركون قبلهم، فوصفوا القرآن بأنه أساطيرُ الأولين، اكتبها محمد -عليه الصلاة والسلام- وتبعهم المشككون في كل زمان، فكان من رموزهم ابن عربي والحلاج وابن رشد، وقُل لي من تخالل أقل لك من أنت.
 ٤. فريئتهم الكبرى زعمهم المصدر البشري للقرآن الكريم وتأثره بالبيئة التي ظهر فيها، وهذا قولٌ مردودٌ مرجوح، لا يقولُ به إلا من فقد عقله أو قلبه، وهو واهٍ لدرجة تجعل من العبثِ الالتفاتِ إليه والردِّ عليه، وأثى لدعواهم هذه أن تنهض وقد تحدى الله به الثقلين، فهلاً كان بمقدور هؤلاء مشابهته أو معارضته فضلاً عن الطعن فيه.
 ٥. لقد فقد الحداثيون الأهلية للخوض في النصوص الشرعية لعدم تحصيلهم العلوم والأدوات الضرورية، لتكون استنتاجاتهم مبنية على أصولٍ متينة، فالخلل المنهجي تسبب عنه زلل في النتائج.
 ٦. إن من أسباب فشل الحداثيين أنهم أسقطوا على النص القرآني والمفاهيم الإسلامية كالوحي والدين والآخرة، كل ما ظفروا به من الأفكار والنظريات الغربية، البعيدة عن روح وتعاليم الإسلام. إن مقاصد المستشرقين بايديه ودوافعهم الصليبية حاضرة، فأثى لأبناء المسلمين هؤلاء أن يجعلوا أنفسهم جنداً للشيطان ويمتنوا ركبته! وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التوصيات:

١. نشر الوعي بين الناس، والتحذير من الأفكار الهدامة والفرق الضالة، التي تصوب سهامها نحو الدين ومقدساته بهدف زعزعة المسلمين عن دينهم وذلك من خلال، تكثيف النشرات والمحاضرات التوعوية، وخاصة بين فئات الشباب المستهدفة، ونشر الإسلام الصحيح وتنقيف المسلمين بدينهم.
٢. يجب على العلماء التصدي لأمثال هؤلاء من أصحاب الدعوات الحداثية، بكشف زيف أفكارهم، وتحذير المسلمين منهم،

فعلى الرغم من وجود المؤلفات الكثيرة التي ردت على الحداثيين ونقضت صرحهم، إلا أن خطرهم فادح على الناشئة، حيث تُحشد لهم الحشود، وتُفتح لهم الآفاق على صفحات المجلات العلمية وشاشات المحطات الفضائية، وتطبع لهم الكتب، ويُصبون المناصب، وتُغدق عليهم الأموال كل هذا: " يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِمْ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ " (الصف: ٨).

٣. أوصي الباحثين بتكثيف جهودهم البحثية وتركيزها لمتابعة نتائج الحداثيين ونقض عُراهم، طاعة لله ونصراً لدينه، وإظهاراً لكلمته.

الهوامش.

- (١) أحمد بن حنبل، (ت ٢٤١هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، تنمة مسند جابر بن عبد الله ﷺ، ج ٢٣، ص ٢٣٤، رقم الحديث (١٤٩٨٤)، (١ط)، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- (٢) مسلم بن حجاج (ت ٢٦١هـ): صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الحج: باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، ج ٢، ص ٩٩٤، رقم الحديث (١٣٧٠).
- (٣) محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، كتاب التفسير باب (وإذ يرفع إبراهيم القواعد)، ج ٦، ص ٢٠، رقم الحديث (٤٤٨٤)، ١ط، (١٤٢٢هـ).
- (٤) محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، باب فصل الحاء المهملة، ط ٣، (١٤١٤هـ)، ج ٢، ص ١٣١.
- (٥) منير البعلبكي، المورد - قاموس انجليزي عربي، بيروت، دار العلم للملايين، (١٩٨٦م)، ص ٥٨٦.
- (٦) أندريه لالاند، (موسوعة لالاند الفلسفية)، بيروت، عويدات للنشر، تحقيق وتعريف: خليل أحمد خليل، ط ٢، (٢٠٠١م)، ج ٢، ص ٨٢٢.
- (٧) مانع الجهني (ت ١٤٢٣هـ)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الرياض، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ط ٣، ١٤١٨هـ، ص ٨٧٧-٨٨٣.
- (٨) ينظر: عدنان علي رضا النحوي (ت ٢٠١٥م)، الحداثة في منظور إيماني، الرياض، دار النحوي، ط ٣، (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م)، ص ٢٢. وينظر: محمد القرني، موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام، ص ٤٧. وينظر: عوض بن محمد القرني، الفكر الحداثي في ميزان الإسلام، هجر للطباعة، ط ١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ص ٦٧.
- (٩) محمد قطب (ت ٢٠١٤م)، مذاهب فكرية معاصرة، القاهرة، دار الشروق، ط ٩، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، ص ٤٤٥.
- (١٠) مانع الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ص ٦٨٩.
- (١١) مانع الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ص ٧٠٨-٧١٦.
- (١٢) ينظر: عبد الوهاب المسيري (ت ٢٠٠٨م)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٢، ص ٢٧٩.
- (١٣) ينظر: عمار التميمي، التواصل الحضاري، ص ٢٠. وينظر: عدنان النحوي، الحداثة من منظور إيماني، ص ٢٥. وينظر: عوض القرني، الحداثة في ميزان الإسلام، ص ١٧. الوجودية: اتجاه فلسفي يغلو في قيمة الإنسان وبيالغ في التأكيد على تفرده

منهج الحدائين العرب في التعامل مع القرآن الكريم

- وأنه صاحب تفكير وحرية ولا يحتاج إلى موجه، وتعتبر جملة من الاتجاهات المتباينة التي تتعلق بالحياة والموت والمعاناة والألم. السريالية: هي مذهب أدبي فني فكري، أراد أن يتحلل من واقع الحياة الواعية، وزعم أن هناك واقع أقوى فاعلية هو واقع اللاوعي، وهو واقع مكبوت في داخل النفس البشرية وتستمد مضامينها من الأحلام والخواطر والهواجس. ينظر: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي السقاف، موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، موقع الدرر السنية على الانترنت، (ج ١، ص ٤٥٣)، (٢، ص ٩٩). www.dorar.net.
- (١٤) ينظر: عدنان النحوي، الحداثة في منظور إيماني، ص ٣٣.
- (١٥) ينظر: أحمد محمد جاد، فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي، واشنطن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص ٥٣٣-٧١١.
- (١٦) محمد القرني، موقف الفكر الحدائين العربي، ص ٢٣٩.
- (١٧) ينظر: مانع الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة، ص ٨٨١.
- (١٨) عمار التميمي، التواصل الحضاري، ص ٩٤-١٠٠، ١٠١-١٠٣، وينظر: عبد المجيد الشرفي، الإسلام والحداثة، ص ١٤.
- (١٩) مانع الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة، ص ٨٧٧-٨٨٣.
- (٢٠) المرجع السابق.
- (٢١) ينظر: عوض القرني، الحداثة في ميزان الإسلام، ص ٦٨، ٨٣.
- (٢٢) ينظر: محمد عابد الجابري (ت ٢٠١٠م)، التراث والحداثة، ص ٢٣. وينظر: الجابري، بنية العقل العربي، ص ١٣. وينظر: محمد أبو القاسم حاج (ت ٢٠٠٤م)، جدلية الغيب، الإنسان والطبيعة (العالمية الإسلامية الثانية)، ص ٦٥١.
- (٢٣) ينظر: عمار التميمي، التواصل الحضاري، ص: ٧٦، ١٠٢، ١٠٧.
- (٢٤) لقد سبقت الإشارة في هذا البحث إلى شروط المفسر وضوابط النظر في تأويل كلام الله تعالى، ص ١٩.
- (٢٥) ينظر: يوسف أحمد البدوي، ضوابط أصولية في تدبر القرآن، بحث منشور في مجلة الجمعية الفقهية السعودية، العدد الخامس عشر، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، ص ٢٥.
- (٢٦) ولعل أهم هذه المناهج الغربية الاستشراقية المتبعة عند الحدائين العرب المنهج الفيلولوجي والمنهج التاريخي، القائمان على اعتبار القرآن الكريم نصاً تراثياً قديماً ينبغي تطبيق المنهج التاريخي والفيلولوجي اللغوي لمعرفة مدى تأثير البيئة والتطور اللغوي في بنيانه وتكوينه، وذلك في محاولة إسقاطية لهذه المناهج على دراسة النص القرآني كما طبقت تماماً على نصوص العهدين القديم والجديد. ينظر: سناء الغزاوي ومحمد الحوري، علم نقد الكتاب المقدس وأثره في الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم، بحث منشور في المجلة الاردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، الأردن، المجلد ١٤ - العدد ٤ - صفر ١٤٤٠هـ/ تشرين ثاني ٢٠١٨م، ص ٧٥.
- (٢٧) ينظر: محمد القرني، موقف الفكر الحدائين العربي، ص ٣٣٢.
- (٢٨) ينظر: عمار التميمي، التواصل الحضري، ص ٧٦.
- (٢٩) ينظر: محمد أركون (ت ٢٠١٠م)، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ترجمة: هاشم صالح، بيروت، مركز الإنماء القومي، ص ١٢٥، ط ٢، (١٩٩٦م).
- (٣٠) عبد المجيد الشرفي (ت ٢٠٠٨م)، الإسلام والحداثة، ص ٩٠.

(٣١) محمد أركون: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة هاشم صالح، بيروت، دار الطليعة، ط٢، (٢٠٠٥م)، ص٩٦.

(٣٢) للتعرف على أثر منهج نقد الكتاب المقدس في منهج أركون القائل بتاريخية النص ينظر كتاب (الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم) محمد بن سعيد السرحاني، ص٤٢.

(٣٣) عبد المجيد الشرفي، الإسلام والحداثة، ص٨٩.

(٣٤) محمد أركون: الفكر الإسلامي، ص٢٠٢-٢٠٥.

(٣٥) محمد أركون: تاريخية الفكر الإسلامي العربي، بيروت، مركز الإنماء القومي، ط٢، (١٩٩٦م)، ص٢٩٠.

(٣٦) هذا الرازي (ت ٦٠٦) مع سبقه في باب المعقول، وفرط ذكاه يشكو حيرته وعجزه فيقول:

نهاية اقدم العقول عقل	وغيابة سعي العالمين ضلال
وارواحنا في وحشة من جسمنا	وحاصل دنيانا اذى ووبال
ولم نستقد من بحثنا طول عمرنا	سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا

مجموعة من المؤلفين بإشراف الشيخ علوي السقاف، موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، الفصل الرابع، المطلب السابع والعشرون، موقع الدرر السنوية على الانترنت، ٣٩٤/١.

(٣٧) ينظر محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، بيروت، مركز الإنماء القومي، ط٢، ١٩٩٦.

(٣٨) محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقى، ط٢، ٢٠٠٢م، ص٢٩.

(٣٩) لقد تغنى المستشرقون والحداثيون بشبهة تأثر القرآن بالبيئة التي نشأ فيها، وليس هذا بالبدعة من القول، فقد نادى به شيوخهم من قبل، ينظر: محمد عبد العظيم الزرقاني(ت١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى الحلبي، ط٣، ص٢٦٣-٢٩١.

(٤٠) محمد أركون: قضايا في نقد العقل الديني، ص٢٦٢.

(٤١) محمد أركون، تاريخية الفكر العربي، ص٢٨، وقضايا في نقد العقل الديني، ص١٤٥. ويقول أيضا: (إن الانتقال من مرحلة الخطاب الشفهي إلى مرحلة المدونة النصية الرسمية المغلقة (المصحف) لم يتم إلا بعد حصول الكثير من عمليات الحذف والتلاعبات اللغوية التي تحصل دائما في مثل هذه الحالات). ينظر: أركون، قضايا في نقد العقل الديني، (ص١٨٧-١٨٨).

(٤٢) محمد أركون، تاريخية الفكر العربي، ص١٩٤، ينظر أيضا: أبو القاسم حاج كيف يصف ابن عربي بالشيخ الأكبر، ويصف المفسرين بالغفلة، ينظر: حاج حمد: محمد أبو القاسم حاج حمد، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة العالمية الإسلامية الثانية، بيروت، دار الهادي، ط١، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ص٦٣٩.

(٤٣) مجلة مواقف، دار الساقى، عدد ٦٠/٥٩، ط١، ١٩٨٩م، ص٢٠.

(٤٤) ينظر الرد على هذه الشبهة: سناء الغزوي، تاريخ القرآن الكريم عند المستشرقين دراسة تأصيلية نقدية، أطروحة دكتوراه مقدمة في جامعة اليرموك، (١٤٣٩هـ-٢٠١٨م)، ص٦٧.

(٤٥) ينظر: محمد خليفه حسن، مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم، القاهرة، (١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ص١٠.

(٤٦) ينظر: رد موريس بوكاي (١٩٩٨م) على هذه الشبهة في كتابه التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة: حسن خالد، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، ص١٥٧-١٥٩.

منهج الحدائين العرب في التعامل مع القرآن الكريم

- (٤٧) ينظر: الرد على هذه الشبهة عند: عمر رضوان في كتابه، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره دراسة ونقد، الرياض، دار طيبة، (٤٣٥/١) .
- (٤٨) يقول عبد المجيد الشرفي، في الإسلام والحداثة، ص ٨٧: (استخدم الحدائون المنهج الذي حاول نولدكه تطبيقه على النص القرآني، فما هو خلف الله في الفن القصصي يعتمد منهج لانسون الأدبي في تعامله مع النص القرآني. فينفي عن قصصه القداسة وينسب إليها الخرافات وموافقة البيئة، وتأثير شخصية النبي عليه الصلاة والسلام وغيرها من الأفكار).
- (٤٩) ينظر: محمد أركون في: العلمنة والدين، ص ١٩، ٢٩. والفكر الإسلامي، ص ١٧٧. وقضايا في نقد العقل الديني، بيروت، دار الطليعة، ص ٢٩، ٨٧، ١٨٦.
- (٥٠) ينظر الرد على محمد خلف الله في كتابه الفن القصصي في القرآن الكريم في دعوى تعارض القرآن مع الوقائع التاريخية واسطورية القصة القرآنية: عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري، الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري، رسالة لنيل درجة الدكتوراه من كلية دار العلوم، موقع الموسوعة الشاملة على الانترنت، www.islamport.com.
- (٥١) محمد أركون: العلمنة والدين، بيروت، دار السامتي، ط ٢، (١٩٩٦م)، ص ٣١.
- (٥٢) محمد أركون، العلمنة والدين، ص ٢٨، فجاء بنصوص كثيرة صرح فيها بوقوع التبديل في القرآن، وما كان هذا منه، إلا صدق يتردد لأصوات الناعقين القدماء، فكان الطعن في القرآن من الخدمات الجليلة التي قدمها للمستشرقين.